من ان يكون له قوله ام من الروم او سوداء دعجاء فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللاباء
ابناء يبين الله تعالى قدرته اولا ببيان انه خلق من الماء بشرا واظهر فضله وامتنانه بجعله
نسبا وصهرا اما النسب فبه يتعارفون ويتواصلون فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان
ولولا النسب لما تعارفوا ولا تواصلوا واما الصهر من اسباب التواصل والتوالد والتزاوج
ثم انه تعالى لما شرح دلائل التوحيد عاد الى تهجين سيرة المشركين في عبادة الاوثان فقال
ويعبدون من دون الله الى قوله ظهيرا وهو خبر كان وعلى ربه متعلق به اي وكان الكافر
بشركه وعداوته الحق عونا للشيطان على عصيان ربه سبحانه ثم انه تعالى لما بين
انه ارسل رسوله الى كافة القرى وقصر الامر عليه اجلالا له بين انه على اي حال ارسله فقال
وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قوله الا من شاء يعني ان الاستثناء متصل على حذف المضاف
واتخاذ السبيل اليه تعالى عبارة عن التقرب اليه بالايمان والطاعة صور فعل من شاء ان يتقرب الله
بذلك بصورة الاجر وسماه باسمه تشبيها له بالاجر من حيث كونه مقصودا من التبليغ و
استدعاه من الاجر لفوائد التي تنفي توقعه احدها ان يقلع شبهة طمعه في الاجر من اصله
كانه قيل ان اعطيتم اياي اجرا فاعطوني ذلك الفعل فاني لا اسأل غيره وثانيها اظهار الشفقة
البالغة عليهم بان جعل سعيهم لانفسهم ونفعهم لها بالاشتغال بطاعة ربهم والاجتناب عن
مخالفته وعصيانه اجرا وافيا مرضيا به وثالثها الاشعار بانهم كانوا يثابون على ذلك الفعل
مباشرتهم له ثواب هو الصاعلية بسبب دلالته اياهم عليه بحكم ان الدال على الخير كفاعله و
على تقدير كون الاستثناء منقطعا يكون المعنى لا اطلب من اموالكم جعلا لنفسي لكن من شاء
انفاقها لوجه الله تعالى فليفعل فاني لا امنعه عنه قوله في استكفاء شرورهم والاغناء عن
اجورهم يعني ان الاية متصلة بقوله وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله قل ما اسألكم عليه من اجر
فانه تعالى لما بين ان الكفار متظاهرون على ايذائه وامره بان لا يطلب منهم اجرا امره
بان يتوكل عليه في دفع جميع المضار وفي جلب جميع المنافع قوله وكفى به اي حسبك الحي الذي
لا يموت خبيرا بذنوب عباده لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير باحوالهم قادر على مكافاتهم
وذكر وعيد شديد قوله فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء اشارة الى ان الباء في قوله
به بمعنى عن كما في قوله سأل سائل بعذاب واقع وفي قول علقمة فان تسألوني بالنساء فانني خبير بادواء
النساء طبيب وان ضمير به يرجع الى ما ذكر من خلق السماء والارض والاستواء على العرش
قوله لانهم ما كانوا يطلقونه على الله الى ان يكون قوله وما الرحمن سؤالا عن المسمى بهذا الاسم وذكر
قول المص هذا علة لسؤالهم عنه فانهم لما لم يعرفوا كونه تعالى مسمى بهذا الاسم اتجه لهم ان يسالوا

يسالوا عن مسماه او كانوا يعرفون كونه تعالى مسمى به الا انهم كانوا يزعمون انه قد يراد به غيره
تعالى وهو مسيلمة الكذاب باليمامة فانه يقال له رحمن اليمامة وكان المشركون يكذبونه
ايضا ولذلك قالوا انسجد لما تامرنا اي للذي تامرنا به بتقدير تامرنا بسجوده فحذف ما حذف
منه على التدريج حذف الجار اولا واوصل الفعل كما في امرتك الخير فقيل تامرنا سجوده ثم
حذف المعروف الذي هو المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار تامرناه ثم حذف الضمير
ايضا فصار لما تامرنا على ان ما موصولة بمعنى الذي او مصدرية اي لامرك على معنى لاجل
امرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه عطف على قوله لانهم ما كانوا
يطلقونه على الله اي وقيل قولهم وما الرحمن ليس عن المسمى به بل هو سؤال عن معنى هذا الاسم
وشرح مفهومه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والمرحوم والراحم ثم انه تعالى
لما حكى عن الكفار ان امرهم بالسجود للرحمن زادهم نفورا عن الايمان ذكر من عظم شانه و
باهر سلطانه ما لو تفكروا فيه لاضطروا الى الايمان به وطاعته فقال تبارك الذي
جعل في السماء بروجا وهي المنازل الاثني عشر لكل برج منزلان ونصف منزل القمر وهي منازل
الكواكب السبعة السيارة وهي ثلاثمائة وستون درجة للشمس واسماء البروج الحمل والثور والجوزاء
والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت
بيتا المشتري والجدي والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الاربع فيكون
لكل واحد منها ثلاثة بروج مثلثات الحمل والاسد والقوس نارية والثور والسنبلة والجدي
مثلثة ارضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة
مائية قوله تعالى وجعل فيها اي في البروج لا في السماء لان البروج اقرب فعود الضمير اليها اولى
اولى وان جاز عوده الى السماء ايضا شبهت الشمس والكواكب الكبار بالسرج والمصابيح كما في قوله
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح في الانارة والاشراق اي فان قيل القمر مؤنث ينبغي
ان يؤنث صفته بان يقال منيرة وانما قلنا القمر مؤنث لانه عبارة عن جماعة الليالي ذوات القمر
لانه جمع ليلة قمراء اي ذات القمر وتقرير الجواب ان اصل الكلام وذا قمر منيرا على ان يكون ذا قمر عبارة
عن نفس القمر عبر عن القمر بانه ذو قمر اي ذو ليال لان الليلة انما تكون قمراء بالقمر فصار القمر كانه
صاحب تلك الليالي فقيل انه ذو قمر بمعنى صاحب الليالي القمراء ثم حذف المضاف واقيم المضاف
مقامه وهو مؤنث لكونه عبارة عن جماعة الليالي الا ان القمر لما قام مقام المضاف وهو
مذكر جعل في حكم المضاف فيه فعدل في صفته منيرا لا منيرة كما في قول حسان يسقون
من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل يعني ماء بردى وهو

Copyright © King Saud University